تطور العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية في ظل الحرب الروسية-الاوكرانية

م.د.سرى موفق جعفر مقصود

المستخلص:

أدت التغيرات التي خلفتها الازمة الاوكرانية الى العديد من التداعيات على النظام الدولي، وبعد (٢٠) عام من العلاقة الحذرة بين روسيا والصين نلاحظ ان هناك تغيرات واضحة على طبيعة العلاقات الروسية الصينية وعلى جوانب عدة، لاسيما بعد العقوبات التي فرضها الغرب على موسكو، مما أدى الى توجه روسيا نحو الصين لتقليل التداعيات الاقتصادية الناتجة عن العقوبات الغربية، وبالوقت نفسه وجدت في الصين سوق لمنتجات الطاقة بعد ايقاف التصدير لدول اوروبا، مما انعكس على طبيعة العلاقات الروسية-الصينية سواء على الجانب الاقتصادي ام السياسي ام التكنولوجي وتطور التعاون الى شراكة استراتيجية بين الطرفين، فالعلاقة بين الطرفين دخلت مرحلة جديدة من التعاون، لاسيما ان (٩٠%) من التبادل التجاري بين الطرفين يتم من خلال العملات الوطنية الروسية او الصينية، مما يشير الى اصرار الطرفين على اتحادهما لمواجهة الازمات الخارجية ومواءمة المواقف لمواجهة القضايا العالمية الرئيسة.

الكلمات المفتاحية: الصين، روسيا، الازمة الاوكرانية، التعددية القطبية، النظام الدولي.

Abstract:

The changes resulting from the Ukrainian crisis led to many repercussions on the international system, and after (20) years of cautious relations between Russia and China, we notice that there are clear changes in the nature of Russian-Chinese, Which led to Russia heading towards China to reduce the economic repercussions resulting from Western sanctions. At the same time, it found a market for energy products in China after stopping exports to European countries, Which reflects the nature of Russian-Chinese relations, whether on the economic, Polish, or technological side. The cooperation has turned into a strategic partnership between the two parties. The relationship between the two parties has entered a new phase of cooperation, especially since (90%) of the trade exchange between the two parties takes place through Russian national currencies or, Which indicates the insistence of the two parties on their unity to deal with Chinese foreign crises and harmonize to deal with major global issues.

المقدمة:

ارخت الحرب الروسية-الاوكرانية بظلالها على العالم بشكل مفاجئ وذلك في الالفية الثانية من القرن الحادي والعشرين وبالتحديد في (٢٠٢٢/٢/٢٤)، واستمرت حتى الوقت الحاضر والقت بأثارها السياسية والاقتصادية على العالم بأسره، اذ تأثرت اغلب دول العالم بالحرب الروسية-الاوكرانية وبجوانب عدة ولا سيما على الجانب الاقتصادي، وتشكل العلاقات الروسية-الصينية اهمية كبيرة في العلاقات الدولية لعالم اليوم، نظراً لما يشكله كل من الطرفين من اهمية قصوى بوصفهم فواعل استراتيجية واساسية في النظام الدولي، ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي مرت العلاقات الروسية- الصينية بمراحل مختلفة ولعل افضل مرحلة للعلاقات الروسية-الصينية هي ما شهدته هذه العلاقات بعد الحرب الروسية-الاوكرانية، اذ توحدت الجهود لمواجهة الغرب وتحديد اهدافهما بالتحول نحو التعددية القطبية وتضاعف التبادل التجاري بين الطرفين وتعزز التعاون العسكري وتوحيد وجهات النظر في العديد من الجوانب الا ان هذه العلاقة مرتبط بالعديد من المحددات او التغيرات التي من الممكن ان تطرأ على الساحة الدولية وهذا ما سنوضحه من خلال توضيح طبيعة التطورات التي طرأت على العلاقات الروسية-الصينية بعد الازمة الاوكرانية وبيان تصريحات الصين الرسمية تجاه الحرب على اوكرانيا وموقفها المعلن، وهذا ما سنوضحه من خلال هذا البحث.

اشكالية البحث: ينطلق البحث من مشكلة تتمثل بتساؤل رئيسي وهو بـ(ما هي انعكاسات الحرب الروسية-الاوكرانية على تطور العلاقة الروسية-الصينية اقتصادياً) ومن خلال ذلك يمكننا طرح التساؤلات الاتية:

١- ما هي جذور واسباب الحرب الروسية-الاوكرانية؟
٢- ما هي تداعيات الحرب الروسية-الاوكرانية على العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية؟
٣- ما موقف الصين من الحرب الروسية-الاوكرانية؟
٤- هل ادت الازمة الاوكرانية الى تغيرات في طبيعة العلاقات الروسية-الصينية؟

فرضية البحث: تنطلق فرضية البحث من ان الحرب الروسية الاوكرانية اثرت بشكل ايجابي على العلاقات الاقتصادية الروسية- الصينية، اذ تعد بمثابة فرصة ايجابية للصين للاستفادة سياسياً واقتصادياً وامنياً، ولتصبح الصين الوجهة الاولى لصادرات الطاقة الروسية، الا ان هذا التطور الاقتصادي للعلاقة الروسية-الاوكرانية مرهون بدوره بتطور مجريات الاحداث للحرب الروسية-الاوكرانية.

اهداف البحث:

١- توضيح جذور واسباب الحرب الروسية-الاوكرانية.

٢- بيان دور الصين وموقفها من الحرب الروسية-الاوكرانية.

٣- توضيح تطور العلاقات الاقتصادية الروسية.

٤- بيان مدى انعكاس الحرب الروسية-الاوكرانية على العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية.

المبحث الاول

الحرب الروسية-الاوكرانية (النشأة والاسباب)

المطلب الاول: نشأة الحرب الروسية-الاوكرانية:

اولاً: اسباب وجذور اندلاع الحرب الروسية-الاوكرانية:

لا تعد الازمة الروسية-الاوكرانية وليدة عام ٢٠٢٢ وانما مرت بمراحل عدة حتى وصلت الى مرحلة الحرب في عام (٢٠٢٢)، اذ منذ تفكك الاتحاد السوفيتي وانفصال اوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي والعلاقة بينهما في حالة تذبذب مستمر، واشتدت الاحداث لاسيما في العقود الاخيرة ففي عام (٢٠٠٨) كانت هناك مبادرات تدعو لانضمام اوكرانيا للناتو، الا ان هذه المبادرات لم تنجح، وفي عام (٢٠١٣) حاولت اوكرانيا الارتباط بالغرب من خلال اتفاقية تعاون مع الاوروبي ، وفي عام (٢٠١٤) اجرت روسيا استفتاء لضم شبه جزيرة القرم وكانت نتيجته بالموافقة بالاغلبية على الانضمام لروسيا، ادى ذلك الى ازدياد الدعم الشعبي في اوكرانيا على الانضمام لـ(حلف الناتو)[١]، اذ يعد هذا الحدث من اهم وابرز الاحداث على الساحة الدولية للقرن الحادي والعشرين، نظراً لاهمية الدولتين وموقعها الجغرافي والمكانة التي تجسدها في النظام الدولي وما تتمتع به من علاقات سياسية واقتصادية تربطها مع المجتمع الدولي، اذ تتمتع اوكرانيا بموقع جيوسياسي يؤثر في موازين القوى الدولية بشكل واضح، اذ تقع اوكرانيا بين النطاق الروسي والاوروبي مما جعلها ممر للغزو الاوروبي لروسيا، سواء من الغزو السويدي لروسيا ام من الغزو الفرنسي ام من الالماني، لذا نجد ان روسيا ترى بأن اوكرانيا بمثابة نقطة ضعف كبيرة بالنسبة لها، مما جعل الاتحاد السوفيتي سابقاً ان يبقى مصراً على بقاء اوكرانيا ضمن اراضيه، كونها تمثل امتداداً طبيعلً وديمغرافياً وحضارياً لجغرافيا الاتحاد السوفيتي، الا انها استقلت عام (١٩٩١) مع تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار جدار برلين، ونجد ان منذ نهاية عام (٢٠٢١) تزايد التوتر العسكري بين موسكو وكييف مع وجود اتهامات الى روسيا بحشد قواتها على الحدود مع اوكرانيا، وفي الوقت نفسه وجهت كل من (دونيتسك ولوغانسك) اتهامات الى السلطات الاوكرانية بالحشد العسكري على خط التماس في منطقة دونباس شرق اوكرانيا.

---

(١) زياد يوسف حمد، الغزو الروسي لاوكرانيا عام ٢٠٢٢ وأثر تداعياته في رسم ملامح النظام الدولي، مجلة اتجاهات سياسية، المركز العربي الديمقراطي، المجلد (٥)، العدد (٢١)، ٢٠٢٢، ص١٣٥.

وهناك العديد من الاسباب التي ادت الى اتخاذ الخطوة وتحيد الجيش للغزو الروسي لاوكرانيا، ولعل اهم هذه الاسباب تتمثل بالاتي[١]:

١- رغبة روسيا بتطبيق نظرية (قلب العالم) والتي من خلالها حاول (ماكندر) ان يفسر ظاهرة الصراع وان من يسيطر على قلب العالم يسيطر على العالم بأسره، لذا تطمح روسيا بالسيطرة على اوروبا الشرقية، واعادة اخضاع اوكرانيا للمركزية الروسية.

٢- محاولة اوكرانيا بالانضمام لحلف (الناتو) (ولعله السبب الاكثر اهمية)، ورغم رفض روسيا والتحذير من اتخاذ اوكرانيا اي خطوات جادة تجاه الانضمام، اذ في (٣٠/ نوفمبر/٢٠٢١) اعلن الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) ان توسع وجود (الناتو) في اوكرانيا سيكون خط احمر بالنسبة للكرملين، وجاء رد الامين العام (ينس ستولتنبرغ) على تصريح (بوتين) بأن (القرار بأحتمالية انضمام اوكرانيا الى الناتو يتعلق بأوكرانيا وحلفاؤها الثلاثون وليس لروسيا حق النقض)، ان مسألة انضمام اوكرانيا لحلف الناتو تعد تهديد وجودي لروسيا وطالما حذرت روسيا من محاولة انضمام اوكرانيا لحلف الناتو وعدت ذلك تهديدة مباشر للامن القومي الروسي وامنها الاستراتيجي[٢].

٣- فقدان اوكرانيا ميزتها الرئيسة بأعتبارها دولة عبور للغاز الروسي لاوروبا وذلك من خلال عمل روسيا على ايجاد طرق بديل مثل (سيل الشمال١) و(سيل الشمال٢) مما ادى الى فقدان اوكرانيا ركيزتها الاقتصادية اتجاه روسيا.

٤- ومن اهم الاسباب التي ادت الى اتخاذ روسيا خطوة اعلان الحرب على اوكرانيا هي محاولة الاخيرة التقرب من الغرب من خلال المحاولة بالانضمام للاتحاد الاوربي، وطموحها بأمتلاط السلاح النووي، وهذا ما ترفضه روسيا بشكل قاطع بأعتباره مهدد رئيسي لامنها القومي[٣].

٥- اضافة الى الاسباب السابقة يمكننا القول ان هناك اسباب اخرى ادت الى نشوب هذه الحرب ولا يمكن اغفال وضع اقليم دونباس الاوكراني والقمع الذي يتعرض له السكان الناطقين باللغة الروسية في هذا الاقليم، وكذلك عدم التزام اوكرانيا بأتفاقيات مينسك وقصفها للاقليم بشكل مستمر[٤].

---

(١) منال هاني، الحرب الروسية على اوكرانيا واثرها على الاقتصاد العالمي:الواقع والدروس المستفادة، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، مجلد (٢٥)، العدد (٢)، ٢٠٢٢، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ص٢٤.

(٢) ايمان علاء الدين، الحرب الروسية الاوكرانية: اسباب وتداعيات، مجلة قضايا ونظرات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد (٢٦)، ٢٠٢٢، ص٣٥.

(٣) فيصل شلال عباس المهداوي، الحرب الروسية-الاوكرانية وتأثيرها في مستقبل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الصرفة ابن الهيثم، العدد (٥٤)، ٢٠٢٣،ص١٨٩.

(٤) مروان مشرف علوان وفلاح حسن حمادي، الحرب الروسية الاوكرانية عام ٢٠٢٢ (الاثار الاقتصادية والسياسية)، المجلة السياسية الدولية، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، العدد (٥٤)، ٢٠٢٣، ص٥٥٩.

وبأختصار ليس هناك شك بأن اوكرانيا بدأت منذ اوائل عام (٢٠٢١) تتطلع نحو تحقيق طموحاتها الاطلسية-الاوربية، وبدأت تتحرك بسرعة نحو الانضمام لحلف الناتو، وعلى الرغم ان هناك من يرى بأن لا حاجة ان تقلق روسيا من انضمام اوكرانيل لحلف الناتو، وذلك على اعتبار ان حلف الناتو هو تحالف دفاعي ولا يشكل تهديد لروسيا، الا ان هذه ليست الطريقة التي يفكر بها بوتن والقادة الروس تجاه حلف الناتو، بل يؤكد بوتن على ان انضمام اوكرانيا الى حلف الناتو او المحاولة بالانضمام هو (ألمع الخطوط الحمراء) التي لايمكن غض البصر عنها.

المطلب الثاني: موقف الصين من الحرب الروسية-الاوكرانية:

منذ بداية الحرب اخذت الصين دوراً محايداً تجاه الحرب الروسية-الاوكرانية، واعتمدت مبدأ التوازن في العلاقات مع كل من روسيا والولايات المتحدة الامريكية، وحاولت التوفيق بين رغبتها في تعزيز علاقتها مع روسيا والعمل على تقليل الهيمنة الامريكية على النظام الدولي وتقليل الزخم الاستراتيجي للغرب، الا انها بالوقت نفسه تحاول الصين جاهدة على اتخاذ مواقف تجنبها العقوبات الاقتصادية التي تستهدف الشركات والمؤسسات المالية في الصين، وتستند الصين في سياستها على مقولة:(ان الفوز دون قتال هو الفوز النهائي للحرب)، لذا نجد ان الصين تعمل على تجنب المزيد من تدهور او تذبذب العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية وعدم اتخاذ مواقف حادة تجاه الصراع، والمحافظة على علاقاتها الاقتصادية مع اوكرانيا استناداً الى فكرة ان اوكرانيا هي بوابتها الاقتصادية تجاه الاتحاد الاوربي، لا سيما ان اوكرانيا اصبحت شريكاً في مبادرة الحزام والطريق التي تعد اهم مبادرة عالمية اطلقتها الصين عام (٢٠١٣)[١]، وتمثل الحرب الروسية-الاوكرانية خدمة اساسية للصين لتشغل بها الولايات المتحدة الامريكية وتعد بمثابة فرصة تستغلها الصين لتتمكن من خلالها تحقيق اهدافها وطموحاتها الاساسية بالتحول الى نظام عالمي متعدد الاقطاب، مستغلة بذلك انشغال الولايات المتحدة بتحجيم وتحديد دور روسيا بالمقابل، من خلال تقديم الدعم الواضح والصريح لاوكرانيا، بالوقت نفسه نجد ان الصين تنأى بنفسها عن الدخول في صراع مع الولايات المتحدة الامريكية، والمحافظة على علاقتها الحيوية مع روسيا والاتحاد الاوروبي والعمل على اظهار الصورة الايجابية للصين، لذا نجد ان الموقف الصيني تجاه هذه الحرب يعود الى انها تعتمد مبدأ اساسي في سياستها الخارجية، وهو مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، واحترام سياستها واستقلالها، وتعمل على توفير بيئة امنة ومناسبة لتتمكن من تحقيق اهدافها التنموية وتعزيز الامن

(١) تشاو لي، مبادرة الحزام والطريق الصينية من منظور الاقتصاد الثقافي العالمي، ترجمة: محمد بيج -شيه يانغ، منشورات ضفاف، ط١، بيروت، ٢٠١٨، ص١٩.

والسلم الدوليين، وكذلك فهي تعمل جاهدة لتحافظ على اهدافها السياسية والاقتصادية المرتبط بأطراف النزاع. من هنا نجد ان الموقف الصيني تحدد بأتجاهين[١]:

- **الاتجاه الاول:** ينطلق من ان روسيا اتخذت خطوة الحرب بسبب استفزاز الغرب لها، من خلال محجاولة اوكرانيا بالانضمام لحلف الشمال الاطلسي (الناتو)، وكذلك تعلن الصين رفضها للعقوبات الاقتصادية الاحادية ضد روسيا.
- **الاتجاه الثاني:** ترى الصين بأن اوكرانيا دولة مستقلة ذات سيادة وتتمتع بأستقلالها التام ولايحق لاي دولة التدخل بشؤونها الداخلية وهي بذلك تختلف عن وضع تايوان التي تعد جزء من دولة ذات سيادة، وكذلك تتفق الصين مع الاتحاد الاوروبي في انهاد الحرب في اوكرانيا.

من خلال ذلك يمكننا ان نحدد موقف الصين بأنه موقف حذر على مستوى عالٍ ويتطلب توظيف الصين لسياستها الحكيمة والحذرة بالتعامل مع هكذا ازمات التي من الممكن ان تسبب لها تضارب في مصالحها السياسية والاقتصادية والامنية ، لاسيما انها ترتبط بعلاقات تجارية مع الدول الغربية الداعمة للحرب، لذا يتطلب منها التعامل بأسلوب متوازن وفعال تجاه الموقف[٢].

المبحث الثاني

العلاقات الروسية الصينية من التنافس الى التحالف

المطلب الاول: تطور العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية:

اولاً: العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية قبل (٢٤/فبراير/٢٠٢٢):

بعد تحسن العلاقات الدبلوماسية الروسية-الصينية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الا ان التعاون الاقتصادي كان لا زال في مستوى محدود جداً بين روسيا والصين، الا ان العلاقات الاقتصادية وتحديداً الطاقية اخذت تتطور وتنمو تحديداً في عام (١٩٩٦) وبشكل متزايد، وبعد زيارة الرئيس الصيني (يانج زيمين) لروسيا والعلاقات الطاقوية للطرفين في حال تزايد مستمر، وبقيت العلاقة بين الطرفين طوال العقود تتسم بعدم الثقة الاقتصادية وتخلف الوعود لا سيما من الجانب الروسي فيما يخص امداد انابيب الطاقة، وبعد ذلك اتجه كل من (موسكو وبكين) لتعزيز التعاون الاقتصادي في مجال الطاقة والموارد الطبيعية الاخرى، الا ان هذه المساعي لم تنفذ بشكل حقيقي وواضح واتجه كل من روسيا والصين الى الغرب للاستفادة من رأس المال والحصول على التكنولوجيا والوصول

(١) غزلان محمود عبد العزيز، التقارب العسكري الروسي الصيني واحتمالات التحالف العسكري، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية بجامعة الاسكندرية، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ٢٠٢٣، ص٤١.

(٢) غزلان محمود عبد العزيز، مصدر سابق، ص٣٦.

للاسواق الغربية، ادى هذا الاعتماد على الغرب الى تولد العديد من المخاطر لا سيما بالنسبة للجانب الروسي وذلك بالتحديد بعد الازمة المالية لعام (٢٠٠٨)، اذ اثرت تلك الازمة الاقتصادية على الاقتصاد الروسي وادت الى حدوث ركود اقتصادي وهروب رؤوس الاموال وانخفاض الطلب على المواد الاولية مما ادى الى ادراك الجانب الروسي بأنه لايمكن الاعتماد المفرط على الغرب لا سيما مع عدم تأثر الصين بالازمة المالية لعام (٢٠٠٨)، من هنا بدأت تتوجه موسكو توثيق العلاقات مع الصين خلال فترة حكم الرئيس (ميدفيديف) (٢٠٠٨-٢٠١٢)[١]، ومع وصول الرئيس (فلاديمير بوتين) اخذت العلاقات الروسية-الصينية منحي جدي ونحو تطور ملحوظ بالعزوف نحو المضي بالتحالف مع الغرب وبدأت روسيا تأخذ منحى اخر وبدأ التنين الصيني يبرز كقوة اقتصادية لها دور فاعل في النظام الدولي، وبدأت روسيا بتزويد الصين بالنفط منذ عام (٢٠١١)، ووقع البلدين على بيان مشترك لتعميق الشراكة الاستراتيجية بين البلدين.

ومع تزايد العقوبات الاقتصادية التي فرضها الغرب على روسيا في عام (٢٠١٤) نتيجة ضم روسيا لشبه جزيرة القرم و تزايد العلاقات التجارية بين روسيا والصين وتبني روسيا لسياسة (التحول نحو الشرق)، لا سيما مع وصل الرئيس الصيني (شي جين بينج) عام ٢٠١٣ للحكم، نجد ان هذه العقوبات الغربية على روسيا كانت بمثابة حافز لاعادة هيكلة السياسة الاقتصادية الروسية وبناء علاقات اقتصادية مع الصين والبدء بمشاريع في مجال الطاقة والاسلحة، الا ان روسيا لازالت تنظر الى الصين بمنظار الشك وعدم اليقين وكانت هذه الحالة من الشك هي التي تصف طبيعة العلاقة بين الطرفين لذا لم تشهد العلاقات التجارية الروسية-الصينية تقدماً ملحوظ لا سيما في بداية العقد الاول من القرن الحادي والعشرين، وعلى الرغم من ان الجانب التجاري بين الطرفين لم يكن في اعلى مستوى له، وركزت كل من روسيا والصين على التكامل الاقتصادي الذي لا يقلل من سيطرتهما او سيادتهما، اذ تنظر موسكو بأن البضائع الصينية ستقلل من قدرتها التنافسية للبضائع الروسية، وفي الوقت نفسه نجد ان الصين كانت تسعى الى زيادة صادراتها الى روسيا، وفي ظل هذه المصالح المتباينة فأن التكامل الاقتصادي بين البلدين يبقى محدوداً في اطر محددة[٢]، وفي عام (٢٠١٤) تم انشاء اللجنة الحكومية الروسية-الصينية للتعاون الاستثماري، وفي عام (٢٠١٨) وقع

([١]) احمد عبد الامير الانباري، التقارب الروسي-الصيني محاولة لتعزيز مكانتهما الدولية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد (١٤)، العدد (٥٨)، ٢٠١٧، ص٥٧.

([٢]) مأمون احمد ابو رعد، تأثير التقارب الاستراتيجي بين روسيا والصين على هيكل النظام الدولي، جامعة الاسكندرية، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، المجلد الثامن، العدد السادس عشر، ٢٠٢٣، ص١٩٣.

(بوتين) على اتفاقية للتجارة الحرة بين الصين والاتحاد الاقتصادي الاوراسي الا ان هذا الاتفاق غير تفضيلي (اي عدم وجود تخفيض فعلي على الحواجز التجارية للطرفين) ، وبدأت مجالات التعاون التجاري تتحقق نجاحات في مجال التعاون التجاري بين الطرفين وتمثلت في تصدير روسيا للموارد الطاقة مع استمرار تزايد حاجة الصين لموارد الطاقة من الفحم والغاز المسال(١).

اما في الجانب التجاري، فتعد روسيا شريكًا تجاريًا قويًا للصين و هي تحتلّ دائمًا موقعًا بين الشركاء العشر الأوائل لها و احتلّت سنة ٢٠٠٥ المرتبة التاسعة، اذ بلغ التبادل التجاري بين البلدين نحو (٧) مليار دولار، . و تعتبر روسيا المصدّر الأوّل للأخشاب إلى الصين ٦٤،٧% من جميع واردات الصين من الخشب، المخصّبات ٤٧،٥%، المأكولات البحرية ٤٤،٥%، النفط ٨،٧٥%، معادن حديدية ١٣،٩%. أمّا فيم يتعلق بالصادرات الصينية لروسيا، فلقد انحصرت بالسلع الاستهلاكية فتكاد صادراتها إلى روسيا تنحصر بالمواد والسلع الاستهلاكية، فيما تطمح روسيا في أن تزيد الصين من استثماراتها المباشرة في اقتصادها والتي بلغت العام ٢٠٠٤ حوالي ٥% من حجم الاستثمارات الصينية الخارجية الكلية حيث تأمل الصين في أن تبلغ هذه الاستثمارات العام ٢٠٢٠ في الاقتصاد الروسي الـ١٢ مليار دولار، وبالوقت نفسه نجد ان العلاقات الروسية-الصينية بدأت تدخل في مرحلة التعاون على الجانب الامني لذا تأسست منظمة شنغهاي عام (٢٠٠١)، كما تم حل المشاكل الحدودية المزمنة بين الطرفين بعد توقيع اتفاقية عام (٢٠٠٤) والمصادقة عليها عام (٢٠٠٥)(٢)، وشارك البلدين في تأسيس تكتل اقتصادي (البريكس) في عام ٢٠٠٩، وتجسدت رؤية هذا التكتل في اعادة هيكلة النظام العالمي الحالي والتوجه نحو نظام عالمي جديد قائم على قطبية متعددة(٣).

ثانياً: تنامي العلاقات الاقتصادية الروسية-الصينية بعد الحرب:

مثلت الازمة الروسية-الاوكرانية بمثابة نقطة تحول في مسار العلاقات الروسية-الصينية المعقدة بالاصل، اذ ادت هذه الازمة الى تحقيق تقارب نوعي في العلاقة بين الطرفين، فوجدت موسكو في بكين فرصة للتقارب وتجاوز العقوبات الغربية المفروضة على موسكو، في الوقت نفسه هذه الاحداث دفعت الصين لتحقيق التعاون مع روسيا في العديد من الجوانب ومن اهمها الجانب الاقتصادي، الا

(١) احمد عبد الامير الانباري، مصدر سابق، ص٥٩.

(٢) علي حسين باكير، العلاقات الاستراتيجية الصينية-الروسية، موقع الدفاع الوطني اللبناني، ٢٠٠٦، متوفر على الرابط الاتي:
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA .

(٣) وسن احسان عبد المنعم، الترتيبات الاقليمية الجديدة والتغيرات في ميزان القوى العالمي-تكتل مجموعة دول البريكس انموذجاً، مجلة جامعة الكوفة، العدد (٥٨)، ٢٠٢٠، ص١٦١.

ان الصين اخذت بنظر الاعتبار توجهات الغرب تجاهها وتخوفها في حال تقديم المساعدة العسكرية لموسكو، الا ان الصين وجدت في هذه الاحداث فرصة لتعزيز وجودها في المجال الحيوي لروسيا، وتحقيق مزايا اقتصادية كبيرة بعد العقوبات الغربية على روسيا وحاجة روسيا الاقتصادية للصين كأسواق لتصريف موارد الطاقة، ولعل اهم مجالات التعاون بين موسكو وبكين تمثلت في (النفط، والغاز الطبيعي والتطور التكنولوجي، وتصنيع الاسلحة) مع اعتماد كل من الطرفين على العملات المحلية في التعاملات التجارية دون الحاجة للجوء الى الدولار او اليورو، ومن خلال ذلك نلاحظ في عام (٢٠٢٣) ان روسيا اصبحت اكبر شريك تجاري للصين، وبالوقت نفسه اصبحت روسيا سادس اكبر شريك تجاري للصين، وذلك نتيجة للزيادة في التجارة الثنائية بين الطرفين خلال عامي (٢٠٢٢) و (٢٠٢٣)، اذ بلغ اجمالي التجارة بين البلدين نحو (٢٤٠) مليار دولار اي بزيادة نحو (٢٦,٣%) مقارنة بعام (٢٠٢١)، اي بلغت الصادرات الروسية للصين نحو (١٢٩) مليار دولار، في حين بلغت الواردات الروسية من الصين نحو (١١١) مليار دولار عام (٢٠٢٣) وكما موضح في الشكل رقم (١)، كما بلغت الصادرات الصينية نحو روسيا حوالي (٧٦) مليار دولار، وشكلت التجارة مع روسيا (٣%) من اجمالي التجارة الدولية للصين خلال عام (٢٠٢٢)، واستمرت الاتجاه التصاعدي للتجارة الثنائية الروسية-الصينية لتصل الى اعلى مستوياتها لتبلغ في شهر اذار نحو (٢٠) مليار دولار خلال شهر واحد فقط، واعتمد كل من البلدين على استخدام العملات المحلية بدلاً من الدولار الامريكي في التبادلات التجارية، ويوضح الشكل ادناه تزايد العلاقات التجارية الروسية الصينية وبشكل ملحوظ لا سيما بعد الازمة الاوكرانية[١].

() [١] كيف استفادت الصين من الحرب الروسية-الاوكرانية، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبي، ٢٠٢٤، متوفر على الرابط الاتي:https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/9347/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D9%83%D9%8A%D9%81-.

شكل (١) العلاقات التجارية الروسية-الصينية للمدة (١٩٩٦-٢٠٢٣)

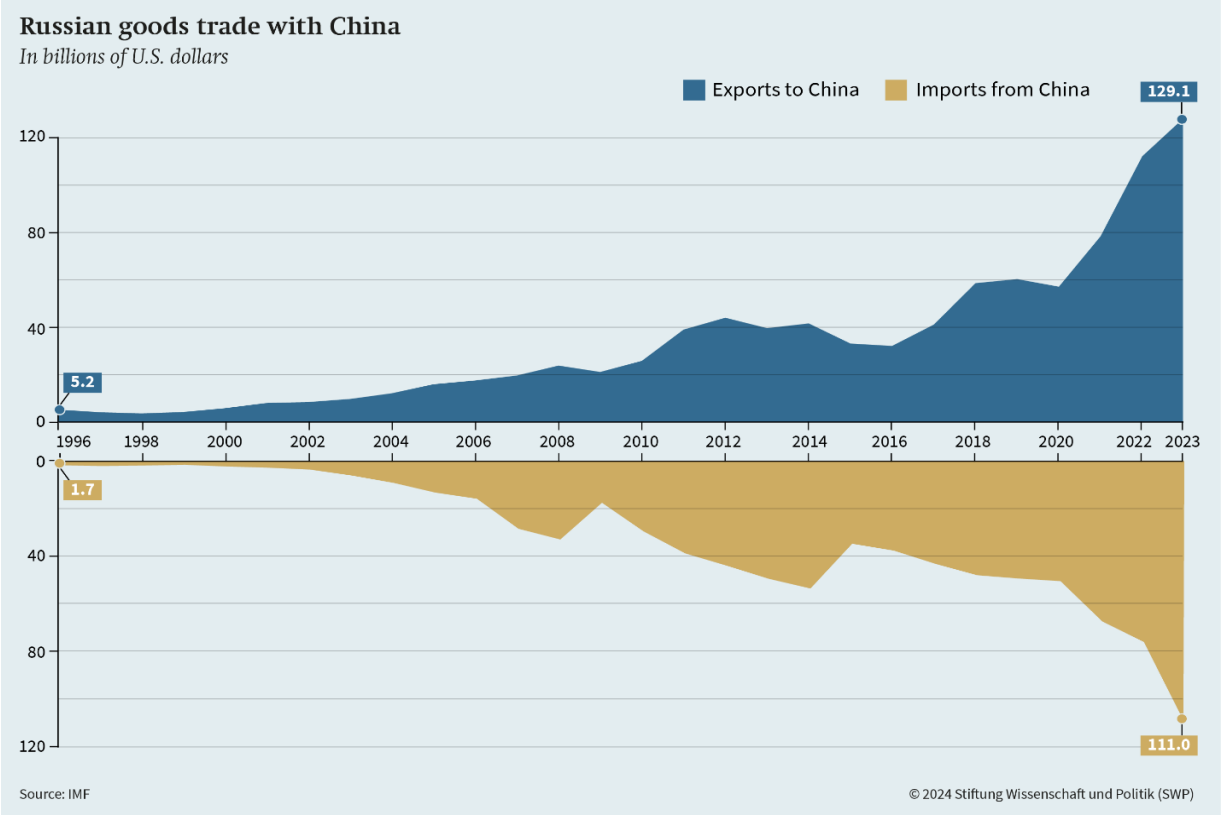

Source: IMF, Chinese customs data, Russian customs data, Available on: http://english.customs.gov.cn/Statistics/Statistics?ColumnId=1, access at: 25/8/2024.

اما على الجانب الطاقي فقد زادت صادرات الطاقة من روسيا الى الصين بشكل كبير منذ اندلاع الازمة الاوكرانية وعملت الصين على الحصول على موارد الطاقة من روسيا بأسعار مخفضة، ومن هنا نجد ان الصين قدمت الدعم غير المباشر لروسيا بعد فرض العقوبات الغربية على روسيا واصبحت الصين اكبر مستوردي موارد الطاقة الروسية، وبالوقت نفسه اكبر مصدري المواد الاولية والتكنولوجيا والمواد اللازمة لانتاج الاسلحة الروسية، واستمر الاتجاه التصاعدي للواردات النفط الخام الروسي للصين، حيث بلغ متوسط واردات الصين من النفط الخام الروسي (١,٩٥) مليون برميل يومياً في الاشهر الاربعة من عام (٢٠٢٣) اي ما يعادل (١٨%) من واردات الصين من النفط الخام، ووصلت واردات النفط الخام الى مستويات قياسية منتصف (٢٠٢٣) الى (٢,٢٧)

مليون برميل يومياً، اي ان روسيا تفوقت على المملكة العربية السعودية لتصبح اكبر مصدر للنفط الخام الى الصين[١].

كذلك بالنسبة الى الغاز فقد استوردت الصين خلال الحرب ما يقارب (١٣) مليار دولار، اي ارتفعت واردات الصين من خطوط انابيب الغاز الروسية بنسبة (٥٠%) خلال عام (٢٠٢٢)، وارتفعت واردات الصين من الغاز الطبيعي المسال بنسبة (٤٤%) خلال عام (٢٠٢٢)، اي اصبحت روسيا اكبر مورد للغاز عبر خطوط الانابيب للصين، وثاني اكبر مورد للغاز الطبيعي المسال للصين. فقد استوردت الصين من روسيا نحو ثمانية مليون طن من الغاز المسال خلال عام (٢٠٢٣) اي بزيادة بلغت (٧٧%) عن عام (٢٠٢١)، فضلاً عن تلك التعاملات الاقتصادية وتعزيز التعاون الاقتصادي وبشكل متبادل يسعى الطرفين الى انشاء مشاريع كبرى تتعلق بنقل الطاقة مثل خط انابيب (power of siberia)، والذي يتم من خلاله نقل (٥٠) مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي الروسي الى الصين[٢].

وبالرغم من محاولات الصين على اتخاذ الموقف الحيادي والحذر من الحرب الروسية-الاوكرانية واعتماد وسائل الاعلام الصينية غاية الحذر في التصريحات الرسمية، ولا سيما تصريحها في مجلس الامن من خلال الجلسة الخاصة التي عقدت بذكرى السنوية الاولى للحرب ووضح المندوب الصيني بأن"الحلول الدبلوماسية هي السبيل الوحيد لحل الازمة الاوكرانية، وان وضع اطراف النزاع حول طاولة المفاوضات ليس امراً سهلاً، لكنه الخطوة الاولى نحو حل سياسي"، وقدمت الصين في (شباط/٢٠٢٣) مقترحاً يتضمن (١٢) بنداً لوقف اطلاق النار في اوكرانيا، الا ان ذلك لا يعني ان الصين لم تقدم الدعم والاسناد لروسيا لا سيما محاولاتها في الامم المتحدة، فأوضحت الصين عن المخاوف الامنية المشروعة لروسيا في الامم المتحدة، وتجنب الزعماء استخدام كلمتي"الحرب" او "الغزو" في التصريحات الرسمية وتوجه الصين نحو بناء تحالف مع روسيا لمواجهة الولايات المتحدة لاسيما بعد تزايد التبادل التجاري والتعاون العسكري بين الطرفين[٣].

([1]) Janis Kluge, Russia-China Economic Relations Moscow's Road to Economic Dependence, SWP Research Paper, Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs, Berlin, May, 2024,P.14.

([2]) Hugo von Essen, Russia-China economic relations since the full-scale invasion of Ukraine, Swedish National China Center, Stockholm Center For Eastern European Studies, Nov 2,2023. P.9.

([٣]) ايمان حشاد،الشراكة الصينية الروسية وتباين الموقف الصيني تجاه الحرب الروسية على أوكرانيا، المركز العربي للابحاث والدراسات، دبي،٢٠٢٣،متوفر على الرابط الاتي: https://acrseg.org/43120 .

المطلب الثاني: سيناريوهات تطور العلاقات الروسية-الصينية: وفي ظل الاحداث الدولية الحالية من الممكن ان تتمثل العلاقة بين روسيا والصين في سيناريوهات ثلاث كل منهما يعتمد على تغير الاحداث بأتجاه محدد وتتمثل بالاتي:

اولاً: سيناريو تطور العلاقة والتحالف المستمر:

في السنوات الاخيرة السابقة نجد تحول طبيعة العلاقات الروسية-الصينية نحو مسار اخر، اذ انتقلت من التنافس السلبي الى التنافس الايجابي، فنتيجة لتغير الاوضاع في النظام الدزلي الحالي لا سيما بعد الحرب الروسية-الاوكرانية وما لها من تداعيات على العلاقات الروسية-الصينية وفي جوانب عدة، نجد ان العلاقات الروسية-الصينية تتجه نحو التطور والتعاون سواء في المجال الاقتصادي والتبادل التجاري والتعاون في مجال الطاقة، ام في الجانب العسكري والتدريب العسكري المشترك والمستمر لاسيما في ظل رغبة الصين بالحصول على التنكولوجيا العسكرية، وتأكيد الرئيس الروسي (بوتين) بعد زيارته الاخيرة للصين على ان الطرفين سيعملان على تعميق الثقة والتعاون العسكري المتبادل في اطار اطر ثنائية ومتعددة الاطراف، كما يرتبط الطرفين بهدف اساسي ومشترك وهو تعزيز التحول نحو التعددية القطبية للنظام الدولي، لذا نجد ان الطرفين يرتبطان باهداف عدة، ولهما مصالح مشتركة والتغيرات الجيوسياسية الاخيرة دفعت بطبيعة العلاقة بين الطرفين بالتقدم وتحقيق تطور ملحوظ، لاسيما ان البلدين يعملان على تطوير التعاون في مجال تقنيات الجيال الخامس والاقتصاد منخفض الكاربون والتجارة الالكترونية العابرة للحدود والاقتصاد الرقمي والعديد من المجالات الاخرى.

ثانياً: سيناريو الاستمرارية بالتعاون المؤقت مع حذر متبادل:

يتمثل هذا السيناريو بأن التعاون يكون مرحلي وبشكل مؤت بين البلدين، وهذا التعاون يعود لوجود اهداف او مصالح مشتركة ومترابطة يسعى كلا الطرفين لتحقيقها، كما ان هذا التقارب قد يكون مرتبط بوجود الازمات الدولية كالحرب او الازمات الاقتصادية، والتي من خلالها او بسببها ادت الى تقارب وجهات النظر والمصالح المشتركة، وكذلك حاجة الطرفين لبعضهما البعض للتصويت في مجلس الامن في القضايا الحرجة، او لمواجهة العقوبات الدولية التي يفرضها الغرب بين الحين والاخر، لذا يفترض هذا السيناريو بأن العلاقة بين الطرفين من الممكن ان تكون (علاقة تعاون مرحلية) قائمة على وجوج مصالح محددة وتنتهي هذه العلاقة بأنتهاء المصالح او بتحقيق الاهداف المشتركة للطرفين مع اتخاذ كل منهما كافة التحوطات والتعامل بحذر مع الطرف الاخر.

ثالثاً: سيناريو التراجع والتنافس الروسس-الصيني:

هذا السيناريو على الرغم من استبعاده الى حد ما الا انه بالامكان افتراض ان تتراجع العلاقات بين الطرفين بسبب طبيعة جذور العلاقة القائمة على التنافس، ومحاولات الصين توسيع في نفوذها في بعض مناطق اسيا[١]، لذا من الممكن ان تتداخل مجالات الاهتمام وتؤدي التنافس على النفوذ في مناطق اسيا الوسطى(اوزباكستان،طاجكستان،قيرغيزستان، كازاخستان،وتركمانستان) والشرق الاوسط وافريقيا الى مزيد من الصراعات بين الطرفين، كما ان رغم التحالف المعلن في الوقت الحالي الا ان ذلك لا ينفي من مخاوف الاعتمادية ووقوع روسيا في (فخ الاعتمادية) على الصين[٢]، كما ان الاعتماد على اليوان الصيني في التبادلات التجارية يشكل خطراً ذو ابعاد اقتصادية وسياسية لروسيا، ففي حال قيام الصين بتخفيض قيمة اليوان للحفاظ على تنافسية صادراتها فأن ذلك سيؤي الى فقدان الاحتياطيات والودائع الروسية لقيمتها، وهذا بدوره من الممكن ان يؤثر على طبيعة العلاقة التعاونية الحالية القائمة بين الطرفين ويحولها الى مسار اخر.

الخاتمة:

تحولت العلاقة بين البلدين من العدائية خلال فترة الحرب الباردة الى البراغماتية والتعاون على اساس المصالح المشتركة في السنوات الاخيرة، اذ يختلف البلدين في العديد من النقاط الا انهما يجتمعان في رؤية واحدة لمواجهة النفوذ الغربي وتعزيز التعددية القطبية في النظام الدولي، وتجسدت العلاقة بين البلدين بأنها علاقة تتجه نحو التطور الايجابي على الاصعدة كافة منذ بدء الحرب الروسية-الاوكرانية، واتضح تطور هذه العلاقة من خلال الجانب الاقتصادي فقد تم تعزيز الوجود الاقتصادي الصيني في روسيا في مجالات عدة، ولذا نستنتج الاتي:

١- تميز الموقف الصيني من الحرب الروسية-الاوكرانية بأنه موقف قائم على الحيادية والحذر بشكل معلن، واقرار اهمية اللجوء الى التفاوض بين الطرفين ، الا انها من جانب اخر قدمت الدعم والاسناد بشكل غير مباشر لروسيا.

٢- تزايد التبادل التجاري بين الطرفين وزيادة الوردات الصينية لموارد الطاقة الروسية واعتماد روسيا على استيراد البضائع والتكنولوجيا الصينية اللازمة لانتاج الاسلحة، والتعاون في المجال العسكري

(١) مأمون احمد ابو رعد، مصدر سابق، ص٢٠٢.
(٢) هبة محيي، تقييم الاتجاه الروسي للاعتماد الاقتصادي على الصين، المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ٢٠٢٤، متوفر على الرابط الاتي: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/8934/%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B1-%8A-%DD8%A7%D9، تم الاطلاع عليه بتأريخ: ٢٠٢٤/٦/١.

والتدريبات العسكرية المشتركة وكذلك التعاون في مجال التطور التكنولوجي، اذ نجد هنا ان الصين تسعى للحصول على التكنولوجيا العسكرية المتقدمة لاسيما انظمة دفع الغواصات الهجومية اذ تفتقد الصين هذه النوعية من التقنيات المتقدمة في المجال العسكري التي تمتلكها روسيا والغرب، وهذا بدوره ينطبق على العديد من انظمة الاسلحة الروسية الاخرى والتي تتضمن تكنولوجيا الصواريخ التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، بالوقت نفسه نلاحظ ان

٣- استغلت الصين الازمة الروسية-الاوكرانية لتعزيز نفوذها العسكري والاقتصادي في اسيا وذلك من خلال اقامة برامج التدريب العسكري والمساعدات العسكرية، كما تخطط الصين لبناء ميناء لسكك الحديدية مع قيزغستان، ليصبح نقطة اساسية في تعزيز العلاقات بين الصين واسيا الوسطى واوروبا، اي ان الازمة الروسية-الاوكرانية جاءت من مصلحة التنين الصيني على الجانب الاقتصادي والسياسي وذلك لتستغل الصين الفرصة مستغلة بذلك فرض العقوبات الغربية على روسيا وضعف الموقف الروسي اقتصادياً، كذلك تسعى للحصول على موارد الطاقة الروسية بأسعار تنافسية،

٤- اما الجانب السياسي فعملت الصين على توسيع نفوذها في اسيا وتدرك روسيا بأن استمرار استنزافها في الحرب مع اوكرانيا هي من مصلحة الصين الا انها تؤجل المواجهة او التنافس مع الصين لحين انتهاء الحرب مع اوكرانيا وتحقيق النصر في هذه الحرب وهنا يتمثل الهدف الاساسي في الوقت الحالي لموسكو.

المصادر:

١- ايمان علاء الدين، الحرب الروسية الاوكرانية: اسباب وتداعيات، مجلة قضايا ونظرات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد (٢٦)، ٢٠٢٢.

٢- تشاو لي، مبادرة الحزام والطريق الصينية من منظور الاقتصاد الثقافي العالمي، ترجمة: محمد بيج -شيه يانغ، منشورات ضفاف، ط١، بيروت، ٢٠١٨.

٣- زياد يوسف حمد، الغزو الروسي لاوكرانيا عام ٢٠٢٢ وأثر تداعياته في رسم ملامح النظام الدولي، مجلة اتجاهات سياسية، المركز العربي الديمقراطي، المجلد (٥)، العدد (٢١)، ٢٠٢٢.

٤- غزلان محمود عبد العزيز، التقارب العسكري الروسي الصيني واحتمالات التحالف العسكري، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية بجامعة الاسكندرية، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ٢٠٢٣.

٥- فيصل شلال عباس المهداوي، الحرب الروسية-الاوكرانية وتأثيرها في مستقبل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الصرفة ابن الهيثم، العدد (٥٤)، ٢٠٢٣.

٦- مروان مشرف علوان وفلاح حسن حمادي، الحرب الروسية الاوكرانية عام ٢٠٢٢ (الاثار الاقتصادية والسياسية)، المجلة السياسية الدولية، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، العدد (٥٤)، ٢٠٢٣.

٧- منال هاني، الحرب الروسية على اوكرانيا واثرها على الاقتصاد العالمي:الواقع والدروس المستفادة، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، مجلد (٢٥)، العدد (٢)، ٢٠٢٢، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

٨- وسن احسان عبد المنعم، الترتيبات الاقليمية الجديدة والتغيرات في ميزان القوى العالمي-تكتل مجموعة دول البريكس انموذجاً، مجلة جامعة الكوفة، العدد (٥٨)، ٢٠٢٠.

٩- احمد عبد الامير الانباري، التقارب الروسي-الصيني محاولة لتعزيز مكانتهما الدولية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد (١٤)، العدد (٥٨)، ٢٠١٧، ص٥٧

١٠-علي حسين باكير، العلاقات الاستراتيجية الصينية-الروسية، موقع الدفاع الوطني اللبناني، ٢٠٠٦، متوفر على الرابط الاتي:
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA .

١١-كيف استفادت الصين من الحرب الروسية-الاوكرانية، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبي، ٢٠٢٤، متوفر على الرابط الاتي:https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/9347/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D9%83%D9%8A%D9%81-%.

12- IMF, Chinese customs data, Russian customs data, Available on: http://english.customs.gov.cn/Statistics/Statistics?ColumnId=1, access at: 25/8/2024.

13- **Janis Kluge, Russia-China Economic Relations Moscow's Road to Economic Dependence, SWP Research Paper, Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs, Berlin, May, 2024,P.14.**

14- **Hugo von Essen, Russia-China economic relations since the full-scal invasion of Ukraine, Swedish National China Center, Stockholm Center For Eastern European Studies, Nov 2,2023. P.9**

١٥-ايمان حشاد،الشراكة الصينية الروسيـة وتباين الموقف الصيني تجاه الحرب الروسية على أوكرانيا، المركز العربي للابحاث والدراسات، دبي،٢٠٢٣، متوفر على الرابط الاتي: https://acrseg.org/43120 .

١٦-هبة محيي، تقييم الاتجاه الروسي للاعتماد الاقتصادي على الصين، المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ٢٠٢٤، متوفر على الرابط الاتي: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/8934/%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B1-%8A-%DD8%A7%D9، تم الاطلاع عليه بتأريخ: ٢٠٢٤/٧/٢٢.